نصيب العربى فى باديته

من الرياضة البدنية

بقلم محمود مصطفى

أستاذ الأدب العربي بكلية اللغة العربية

إذا كانت الرياضة البدنية فى حياتنا المدنية علاجا للفتور الناجم عن الترف، والحياة الوادعة، والمآكل الدسمة، أو كانت مناهضة للضعف الذى صار إلى الأبناء وراثة عن الآباء، أو كانت مرادة للهو وتزجية الوقت، فقد كانت عند العرب فى باديتهم مرادة لأعظم من ذلك خطراً وأبعد غاية.

بنيت حياة العرب فى باديتهم على توقع الخطر، وترقب المباغتة. وقد كثرت فيهم الحروب والغارات، وليست كلها انتقاما للشرف، وأخذا بالثأر، ومجازاة على العدوان، ولكن كثيرا منها كان عدوانا ومبادهة بالشر، وتجنيا من قوى باغ على ضعيف وادع، أو طلبا للقوت لا يتحرجون معه من الإغارة على بنى أبيهم الذين ليس عليهم فى صدورهم سخيمة، ولا لهم قبلهم وتر. قال القطامى يتحدث عن افراسه الحسان.

وكُنَّ إذا أغَرْنَ على قبيل ... فأعوزهن نَهْب حيث كانا

أغرن من الضباب على حِلاَل ... وضَبَّةَ إنه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا ... إذا ما لم نجد إلا أخانا

فهم إذا علموا أبناءهم الفروسية، وأحذقوهم ركوب الخيل، وأخذوهم بالمرانة على الرماية والتسديد، فانما يفعلون ذلك استعدادا للمواثبة والمجالدة

والكر والفر ، كما يفعلونه التماسا لوسيلة من وسائل كسب القوت .

ولسنا بصدد أن نحصر أنواع الرياضات عند العرب ولكننا ذاكرون منها أشهر ما عرف ، فمن ذلك :

الصيد والقنص

لقد كان فى متسع صحراء العرب مراح ومغدى لهم ، يطلبون أنواع الوحش والطير ، ويستعملون لذلك الأحابيل والمصايد ، وينصبون الفخاخ ، ويحملون القسىّ وجعاب السهام ، ويتخذون لمعونتهم على هذا ما يكلبونه من الضوارى والجوارح لتمسك عليهم صيدهم .

ولم يكن كل طَرَدهم للحيوان لتحصيل الرزق ورد الجوع بل إن كثيرا منه كان تمرسا بالشدائد ، ومغامرة فى الصعاب ، وتلهيا بإعمال الحيلة ، وتباهيا بالفراسة ، واعتدادا بالقوة ، وإلا فما شأنهم والأسد ؟ يتخذون له الزبا وليس هو بمأكول اللحم ، فليس يدفعهم إلى صيده إلا الافتنان فى الحيلة والدلالة على القوة .

والصيد يطلق على فعل الصائد ، وهو اعتقال الحيوان أو الطائر ، وحرمانه من حريته التى كان يتمتع بها فى مسارحه وأجوائه ، كما يطلق على نفس الحيوان أو الطائر إذا وقع فى قبضة الصائد .

أما القَنْص فهو بالمعنى الأول للصيد ، فان فتحت النون « قَنَص » صار بالمعنى الثانى . والناس يخطئون فيقولون : خرج فلان للصيد والقَنَص (بفتح النون) وهو لا يكون مصدرا إلا بسكونها .

وإن نظرة فى كتاب « المخصص لابن سيده » فى باب الصيد وآلاته لتدلنا على أن العرب كانوا يعنون بهذا الأمر عناية تامة ، بدليل ما وضعوا له من ألفاظ تدل على أحواله ، وجميع ما يعرض له . فهم يسمون مزاول

ذلك صائدا ، وصيادا وقانصا . فإذا كان خروجه فى نصف النهار سمى ساميا والجمع سُمَاة . وقد دلوا على استثارة الوحش وإخراجه من مكمنه فسموا ذلك نجشا ومحاوله نجّاشا ومِنْجاشا ، وعبروا عن الخيبة فى محاولة الصيد والرجوع بلا شىء ، بالإرجاء ، فقالوا : أرجأنا وأرجينا ، أى لم نصد شيئاً . وسموا الحفرة التى يكمن فيها الصائد قُتْرة ، والتى تحفر للأسد زُبْية .

فأما أنواع المصايد فكثيرة تتجاوز الحصر . ومنها ما كانت الفطرة البدوية هى الهادية إليها ، ليس فيها أثر للصناعة كالرَّداحة ، وهى دعامة بيت يبنى من حجارة فيجعل على بابه حجر وتجعل لحمة السبع فى مؤخر البيت ، فإذا دخل وتناول اللحمة سقط الحجر على الباب فسده .

ومن المصايد ما كان للصناعة أثر فيه فدل على فكر صناعى مثقف . وقد استعمله العرب فى باديتهم أيام جاهليتهم : إما منقولا عن المتحضرين حولهم ، أو هو من بقايا مدينتهم القديمة فى اليمن ، ومن ذلك اللبَجة . وهى حديدة ذات شعب كأنها كف بأصابعه ، تنفرج فيوضع في وسطها اللحم ثم تشد إلى وتد ، فإذا قبض عليها الذئب مثلا التبجت فى خطمه فقبضت عليه وصرعته . وغير ذلك كثير .

طرائد الغرب

الطرائد جمع طريدة ، وهى ماطرد ، أى طلب من صيد . هذا تعريف كتب اللغة لها . فإن بقيت فى نفسك حاجة إلى معرفة الصلة بين طلب الصيد وأصل معنى الطرد المعروف ، وهو الإبعاد فاعلم أن طلبك للحيوان يستلزم فراره من أمامك وابتعاده عنك ، فكأنك بطلبه تطرده وتبعده ، وإن لم يكن ذلك قصدك ، فهذا ما يسمى عند علماء البلاغة بالمجاز المرسل ، إذ قد ذكر اللازم وهو لفظ الطرد وأريد ملزومه ، وهو طلب الحيوان .

والعرب تطلب من الوحش أنواعاً كثيرة ، فمنها : البقر الوحشية ، ويضرب بها المثل فى حسن العيون وسوادها ، وهى مما يصاد بالطَّرَد على الخيل . ويقال : إن أول من طردها ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان . ومنها الحمر الوحشية ، ويقال للأنثى منها أتان ، وللذكر حمار أو عَيْر ، كما يقال للحمر الإنسية وتسمى أيضاً الفَرَأ ، وهى من أسرع الصيد عدوا ، وأشده فى صيده استعصاء . وقد ضرب بها المثل فى كرمها على صائدها ، وعظيم استفادته منها فقيل : « كل الصيد فى جوف الفرا » . والمعنى أن الذى يظفر بالفرا فى صيده يكون قد نال خيرا كثيرا ، لما له من ضخم الجثة وكثرة اللحم ، كما أنه يكون قد دل على حذقه ومهارته لأن الفرا مشهور بشدة عدوه حتى إنه لا يتعلق به من الضوارى إلا العقاب ، ولاشىء أبلغ فى صيده من النُّشّاب .

وأول من قال هذا المثل رجل خرج مع اثنين من أصحابه ، فأصابوا أحدهما أرنبا والثانى ظبيا ، فافتخرا بما نالا . وكان هو قد أصاب فرأ ، فكان رده عليهما بتلك الكلمة التى ذهبت مثلا . وقد استعارها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطاب أبى سفيان يكرمه بها ويتألفه على الاسلام حين قال له : يا أبا سفيان أنت كما قيل : « كل الصيد فى جوف الفرأ » .

ومما يكثر طلب العربى له ، وهو كثير ببلاده ، الظباء . وهى تصاد بالفهد والكلب والعقاب والحبائل والأشراك ، وربما صيدت بأهون المحاولات ، وذلك أن العربى عرف من طباعها حبها للنيران ، فإذا أراد صيدها أوقد النار فعشا اليها الظبى وأدام النظر فيها حتى يعشى ويذهل فيؤخذ على هذه الحال . وربما أضيف إلى ذلك جلجلة جرس أو قرعشن أو نحوه ، فيزداد لذلك ذهوله . ولهم فى صيده وسائل غير هذه .

ومما يصيده العربى فى باديته ويأكل لحمه : النَّعام ، واحدته نعامة ، وهى طائر مركب من صورتى جمل وطائر . وبعض المتكلمين على طبائع الحيوان لا يجعلها طائرا وإن كانت تبيض ، لأنها لا تطير ، وفاته أنها تملك وسيلة الطيران وهى الأجنحة والريش ، ولكن الذى منعها من ذلك هو ضخامتها وثقل جثتها . وهى تسرع فى عدوها إسراعا يقرب من الطيران.

وقد عرف العرب عنها أموراً كثيرة ، منها : الحمق وذلك لأنها إذا كانت تحتضن بيضها ثم احتاجت لطلب الطعام فتركته ، لم تستطع العود إليه ، ونسيت مكانه ، فاحتضنت بيض نعامة أخرى ؛ كما أنها إذا رأت الصياد يحاول صيدها وقفت مكانها وأخفت رأسها تحت جناحها فظنت حين لا تراه أنه لا يراها فيأخذها بلا محاولة . وقالوا : إن النعام ليس له حاسة سمع ولكنه قوى الشم جدا ، فيستغنى بشمه عن سمعه . وهو لا يشرب الماء وإن طال عليه الأمد .

كما ذكروا أنه يتغذى بالصخر ، وقد عجب الجاحظ فى كتابه «الحيوان» من ذلك وإن لم ينكره ، فقد قال : « وفى ذلك أعجوبتان : إحداهما التغذى بما لا يتغذى به ، والأخرى استمراؤه وهضمه للشىء الذى لو ألقى فى شىء ثم طبخ أبدا ما انحل ولا لان . قال : ومن زعم أن جوف الظليم إنما يذيب الحجارة بقيظ الحرارة فقد أخطأ ، ولكن لابد من مقدار للحرارة مع غرائز وخاصيات أخر ، ألا ترى أن جوف الكلب والذئب يذيبان العظام ولا يذيبان نوى التمر ، ونوى التمر أرخى وألين وأضعف من العظام المصمتة . ثم قال : وباب آخر - وهو عندى أعجب من الأول - وهو ابتلاعه (أى النعام) الجمر حتى ينفذ إلى جوفه ، فيكون هو العامل على إطفائه ، ولا يكون الجمر هو العامل على إحراقه » .

ولم يقتنع الجاحظ بهذا الحكم حتى شهد تجربة التقمت فيها النعامة

أمامه الصخر والحديد محميين فى النار ، وفعلت ذلك مرات ولم يعترها منه شىء ، وكأنها لم تفعل إلا أمراً معتاداً .

وما أردنا بذلك الحديث إلا أن العرب قد درسوا طباع الحيوان لكثرة ممارستهم لصيده ، حتى كان علمهم فى ذلك علما جليلا نافعا مبنيا على ما هدتهم إليه تجربتهم فى بيئتهم .

الضوارى والجوارح

استعان العرب على الصيد بأنواع من الحيوان والطير وسموا ما اتخذ من الحيوان لذلك : الضوارى ، وما اتخذ من الطيور : الجوارح .

فأما الحيوان فكثير منه قابل للتضرية ، ولكن ذلك متعلق بمهارة السائس وحذقه ؛ فقد ذكروا أن الذئب ضُرِّى حتى اصطاد الظباء وما دونها ، وأنه رجع لصاحبه من ثلاثين فرسخا ، وكذلك الأسد اصطيدت به الحمر الوحشية ، وابن عِرْس يجعل فى عنقه حبل ، فيدخل على الثعلب وجاره فلا يخرج إلا به . ولكن المشهور فى قبول التضرية هو الكلب والفهد . فأما الكلب فلا حاجة بنا إلى الدلالة على وفائه وذكائه وشدة حراسته ، فكل ذلك أمور متعارفة . ولكن الذى يهمنا من أموره فى باب الصيد أنه إذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف المقتل وغير المقتل ، وعرف العنز من التيس . وهو إذا أبصر القطيع لم يقصد إلا قصد التيس - وإن علم أنه أشد حُضرا ، وأطول وثبة ، وأبعد شوطا - ويدع العنز . وهو يرى ما فيها من نقصان حضرها وقصر قاب خطوها . ولكنه يعلم أن التيس إذا عدا شوطا أو شوطين حَقِب[1] ببوله . وكل الحيوان اذا اشتد فزعه فإنه سيعرض له : إما سلس البول والتقطير ، وإما الأسر والحقب .

(١) تعسر عليه البول

وإذا تعب التيس لم يستطع البول مع شدة الحضر ، فيثقل عدوه ويقصر خطوه ، ويعتريه البُهْر حتى يلحقه الكلب فيأخذه . والعنز من الظباء إذا اعتراها البول لم تجمعه وحذفت به ، فتصير لذلك أدوم شدا وأصبر على المطاولة . وقد عرف الكلب ذلك بطبعه من غير تعليم .

أما الفهد فهو من الوحش الذى يؤنس . وطريقة تأنيسه أن يجعل فى بيت وعنده سراج ، ويعوّد الركوب على شيء يشبه ظهر الدابة حتى يتأنس . فإذا ركب مؤخر الدابة فقد صار داجنا وصاد . ومن طباعه شدة الغضب ، فإذا أرسله صاحبه على صيد فأرجأ (لم يصد) احتد حتى كاد يقتل نفسه . فلا يسرى عنه الا تسلية صاحبه له .

أما الطيور التى تتخذ للصيد ، وهى المسماة بالجوارح ، فمنها (وهى ملكتها) : العُقاب وهى أنثى ، أما ذكرها فهو طير آخر لطيف الجرم لا يساوى شيئا تلعب به الصبيان . والعقاب أعظم الجوارح جثة ، ومن أسرع الطير طيرانا . ذكروا أن عقابا حملت كف عبد الرحمن بن عَتّاب - المقتول يوم الجمل - من الكوفة الى مكة ، وقد تبينوها فإذا هى كفه . وأرخ ذلك الوقت فإذا هو يوم الجمل .

والعقاب لا يتعاظمها شيء من الوحش حتى إنها تصيد حمر الوحش ، وطريقة صيدها لها انها اذا رأتها رمت نفسها فى الماء حتى يبتل جناحاها ، ثم تقع على التراب فتحمل منه ما يعلق بجناحيها ، ثم تقع على رأس الحمار الوحشى وتصفعه بهما على عينيه فتمتلئان ترابا ، فيقف فيدركه الصائد .

ومن الجوارح : البازى ، وهو من أشد الحيوان كبرا ، وأضيقه صدرا ، ولا يكون إلا أنثى ، وذكرها من نوع آخر : حِدَأة أو شاهين أو غيرهما ؛ ولذلك اختلفت أشكال البزاة وهو يصيد وان لم يعلم الصيد ، فإنه يؤخذ من وكره قبل أن يصيد مع أبويه ، فيصيد ابتداء وقريحة من غير تضرية

السباق والرهان عليه

قال صاحب بلوغ الأرب فى أحوال العرب : «كان العرب يتسابقون فى أشياء كثيرة ، ولهم لعب مشهورة مشحون بها كتب اللغة . وقد أبطل الشرع السَّبَق ، وهو المال الذى يؤخذ على المسابقة فى جميعها ، الا مااستثناه الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « لاسبق الا فى خف أو حافر أو نصل » . أراد بالخف الأبل ، وبالحافر الخيل . والنصل هو السهم ، أراد به الرمى به . كل ذلك أباح فيه الخطر الذى كان عليه العرب أيام جاهليتهم ، لما فى ذلك من المصالح والفوائد التى تعين فى الحرب ، وتستوجب الفروسية ، ويجترئ بها الأنسان على المناضلة والنزال » .

وخيل العرب هى أجود الخيل وأقواها على العدو ، وقد عنوا بها قديما أتم عناية ، فعرفوا أنسابها ، وميزوا سلائلها ، وتعارفوها بالأسماء كأبنائهم.

ويحسن أن نعرض على أصحاب خيل السباق الذين يحبون أن تذكر خيولهم بالعتق . وترجع فى نسبها الى خيل عراب ، نذكر لهم أسماء من خيل العرب لينحلوها خيولهم حتى يتم التوافق بين صفات خيلهم وأسمائها فتكون جميعا عربية .

فأشهر خيل العرب وأكثرها نسلا ودورانا فى شعرهم : أعوج ؛ وكان لغَنىّ بن أعصر . ومن أسماء خيلهم أيضا : الأشقر ، والأحزم ، والأزور ، وحَوْمل ، وخِصاف ، وداحس ، والغبراء ، ومرهوب ، والنعامة ، ونَحلة ، واليَحموم ، ولِزاز (وهو اسم فرس لرسول الله أهداه اليه المقوقس مع مارية) . وقديما عنى العرب بالمسابقة بخيلهم ، واحتشد الناس لمشاهدة ذلك . وكانوا يفعلون كما نفعل من الاستشراف للنتيجة ، ونزوان القلوب عند

مشارفة الغاية ، ثم الهتاف للسابق وفرحهم بفوزه . وتتمثل ذلك فى قوله الخنساء تصف سباقا جرى بين أبيها وأخيها قالت :

جارى أباه فأقبـــلا وهما يتعاوران مُلاءة الحُضْر
حتى إذا نَزَت القلوب وقد لزَّت هُناك العُذْر بالعُذْر
وعلا هُتاف الناس أيهما قال المجيب هناك لا أدرى
برزت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكِبْر
وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطا إلى وكر

ومن هذه الأبيات نفهم مقدار عناية القوم بخيلهم ، وشغف جمهورهم بحضور مسابقاتهم ، فيكون منهم مثل مايكون منا من الاستشراف وانتظار النتيجة والهتاف للفائز ، وتهنئته بالفوز وتعيير الخائب بخيبته ، حتى احتالت الخنساء على الخروج من هذا المأزق (وقد قيل لها اذا مدحت أباك فقد هجوت أخاك) بهذا الأسلوب البديع فى إثبات الفضل لأبيها فى سبقه والاعتذار عن أخيها فى تخلفه بأنه جدير أن يساويه فى الفضل وإحراز السبق ، لولا أن جلال السن وشرف المقام جعلا الولد يتزحزح عن الغاية لأبيه فيخليها له . وهذا أسلوب شهد ببراعة الخنساء فيه نقاد الأدب وصيارفة الكلام .

ومما يذكرون من أمثلة معرفة العرب بأنواع الخيل ما كان منها أصيلا أو هجيناً أو مُقرفاً [1] ، أن سليمان بن ربيعة الباهلى عرض الخيل فمر عمرو بن معد يكرب على فرس فهجنه سليمان فاستعدى عليه عمرو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فدعا سليمان بإناء فيه ماء ، ثم أتى

(١) الأصيل ما كان أبوه وأمه عربيين . والهجين ما كان أبوه عربيا وأمه غير عربية ، والمقرف عكسه .

بفرس عتيق لا شك فى عتقه فأشرع فى الإناء فصف بين سنبكيه ومد عنقه فشرب . ثم أتى بهجين لا شك فى هجنته فأشرع فبرك وشرب . ثم أتى بفرس عمرو فأشرع فصف بين سنبكيه ومد عنقه ثم ثنى أحد سنبكيه قليلا فشرب . فقال عمر : أنت سلمان الخيل .

وفى رواية : أن عمر لم يكن حاضر هذا المقام ، فلما قال سلمان لعمرو : فرسك هجين؛ قال له عمرو : أجل ، الهجين يعرف الهجين . وبلغت عمر فكتب إلى عمرو : قد بلغنى ما قلت لأميرك ، وبلغنى أن لك سيفا تسميه الصمصامة ، وعندى سيف أسميه مصمما ، وايم الله لئن وضعته لا أقلع حتى أبلغ به شيئاً قد ذكره من جوفه [1] ، فإن سرك أن تعلم أحق ما أقول ، فعد .

وفى هذه القصة دلائل كثيرة على اعتداد العرب بخيولهم ومعرفتهم بعتقها ، وعدم تهجين الأصيل منها سبة ، يستعدى عليها السلطان ، ويتحاكم فيها إلى ولى الأمر .

الحلبة والرهان

الحلبة تطلق على معنيين نصت عليهما كتب اللغة . فأما أحدهما : فهو الخيل تجتمع للسباق . قال صاحب القاموس المحيط : الحلبة (بالفتح) الدفعة من الخيل فى الرهان ، وخيل تجتمع للسباق من كل أوب . وفى المصباح : الحلبة (وزان سجدة) : خيل تجتمع للسباق من كل أوب . يقال : جاءت فرسه فى آخر الحلبة ، أى فى آخر الليل .

أما المعنى الثانى فهو مكان السباق ، وقد نص عليه صاحب الأساس قال : وتجاوروا فى الحلبة وهى مجال الخيل للسباق .

(١) شيئا : القلب ؛ ذكره : أى ذكر الله تعالى

والرهان، مصدر راهن : بمعنى شرط شيئاً يأخذه السابق. وهذا المال المشروط يسمى الخَطَر أو السَّبَق. وخيل الحلبة عشرة، ولكل منها اسم: فالأول السابق أو المجلى، والثانى المصلى، والثالث المسلى، والرابع التالى. والخامس المرتاح، والسادس العاطف، والسابع المؤمل، والثامن الحظى، والتاسع اللطيم، والعاشر السُّكَيت. وكان من عادة العرب أن تجعل للسبعة الأول أنصبة تختلف على ترتيبها. فأما الثلاثة الباقية فلا نصيب لها

وكانت للعرب شروط فى تحقيق السبق، وجواز المراهنة عليه، فقد اشترطوا أن تكون الخيل متقاربة فى الحال، فمتى تحقق حال أحدها فى السبق كان الرهان فى ذلك غير جائز، كما منعوا اشتراك المضمرة مع غير المضمرة، والعراب مع الهجان. وكانوا يعدون الفرس السابق بأذنه سابقا. هذا إذا تساوت الأعناق، فان اختلفت كان السبق بالكاهل.

والمسابقة من أمور الجاهلية التى أقرها الاسلام بشروط، ولم يعدها من باب تعذيب الحيوان، بل جعلها من المنافع لحاجة الإنسان إلى الخيل فى الكر والفر. فأما الخطر - وهو الجعل الذى يكون لصاحب الفرس السابق - فقد اختلفت أحواله فى الإسلام عنه فى الجاهلية، فأحله فى أحوال، منها: أن يخرج الوالى، أو رجل من الناس متبرع، سَبَقا يجعله للسابق وليس له فرس فى الحلبة، فمن سبق فهو له. كما يجوز أن يقسم هذا السبق أقساماً، فيجعل للمجلى نصيب للموصلى غيره وهكذا، فيأخذ كل فرس ما شرط له عند فوزه. وهذه الصورة قد أباحها الأئمة جميعاً بلا استثناء، كما أباح بعضهم معها صورة أخرى. وهى أن يكون لهذا الوالى أو المتبرع فرس فى الحلبة، فإن سبق فرسه حبس مافرضه، وإن سبق غيره أخذ ما شرط.

وقد أجاز الشافعى رضى الله عنه أن يشترط كل من المتسابقين سَبَقا فيحرز السابق السبقين معاً. وكان هذا مباحاً فى الجاهلية على إطلاقه،

ولكن الاسلام اشترط دخول فرس ثالث يسمى الدخيل أو المحلل ، لا يكون عليه غرم إن تأخر ويكون له السبقان إن فاز ، وقد اشترطوا فيه أن يكون كفئا للفرسين اللذين جرى عليهما الرهان ، يخشى أن يسبقهما فيحرز السبق . فأما إذا كان بليداً مأمونا أن يسبق لم يحصل معنى التحليل ، وصار الرهان قماراً محرما .

هذا هو الذى أباحه الاسلام من أحوال المراهنة . وهو ما كان فى الجاهلية مع فروق لا تخرجه كثيراً عن الغرض الشريف الذى قصد منه ، وهو حمل أصحاب الخيل على العناية بها وإكرامها وانتخاب ماعرف بالعتق منها ، وهو غرض حربى جليل يحمل عليه صواب الرأى ، وتدعو إليه حكمة التدبير ، مع ما فيه من تسلية بريئة .

فأما ما نراه اليوم بيننا فى مصر فهو قمار بالغ الأذى ، ذريع الفتك بالثروات ، معجل بالخراب لكثير من البيوتات ، لأن جمهور النظّارة والمتفرجين يدخلون فى المخاطرة ويتراهنون على الخيل متعصبين لأحدها على غيره وهم ليسوا بفرسان ولا بأصحاب خيول ، فبان فى عملهم الجشع وحب الحصول على المال بلا كد ، واندفعوا فى ذلك حتى ليخرج أحدهم عن ثروته فى ساعة واحدة ، وفيهم إلى جانب عظماء القوم ، خدم المنازل وصغار الباعة والصناع يسهل عليهم التقدم بعرق جبينهم فى أسبوع كامل إلى بائع أوراق المراهنات ثم يظلون مستشرفين للنتيجة فتخيب آمال ، وتخوى بيوت ، وتطوى بطون ، وتعرى أجساد . ولأهون من كل هذا حُرّم القمار !

إن انحصار المخاطرة فى أصحاب الأفراس ، أو تبرع العظماء برصد جوائزها ، فيه كل المعانى الجليلة التى نبهنا عليها ، من إحداث التنافس بين أصحاب الخيل وحملهم على الاعتناء بها وانتخاب جيادها . وهو نوع من

الذى يجرى بيننا فى كل شىء لا يقصد منه إلا شحذ الهمم وبعث العزائم، فهو مثل تلك الجوائز التى فرضها أصحاب الغنى للمخترعين والكاشفين والعلماء، وهو مقصد نبيل لانزال نشكر المتبرعين فيه، ونضيف إليهم الفضل فيما يكون من نجاح فى نواحى حياتنا.

فأما مراهناتنا فما أجدرها بحزم الحكومة لترد هؤلاء الناس عن غواياتهم، وتوجه إلى الصواب مقاصدهم، وتوفر على الفقراء قوتهم.

الرمى بالسهام

لا شك أن هذا كان من علوم العرب الجليلة التى أخذوا بها أبناءهم ليعدوهم للحروب التى كانت لازمتهم فى حياتهم البدوية، وقد كانت القسى ورمى السهام أنكى أسلحتهم، وأعظم عددهم. وكانوا يتعلمون كيف يقف الرامى ويمسك القوس وينزع عنها، ومقدار ما يكون بينه وبين الهدف من قرب أو بعد أو ارتفاع أو انحطاط.

ولسنا مبعدين اذا تصورنا لهم مدارس خلوية يقف فيها الأحداث أمام الشُّداة يتلقون عنهم تلك الأساليب، ويتخرجون على أيديهم فى الرمى والطعن والضرب، ويكفى أن يقول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يوم فلما استدّ ساعده رمانى

حتى نتصور مقدار عنايتهم بالرماية وعدها علما، واحتياجها الى المداومة فى التلقى.

كما نستطيع أن نفهم من الوضع اللغوى، وكثرة أسماء القوس وأجزائها، وأسماء السهام وأنواعها، وتفصيل حالات الإصابة ما يدلنا على اتساع مادة هذا العلم.

ويكفى فى هذا المقام أن نبين تفصيلهم للإصابة. فقد ذكروا أنها سبعة أنواع:

فالخاضل الذى يقرع الشن ولا يخدشه ، والخازق الذى يخدشه ولا يثقبه ، والخاسق الذى يثقبه ويثبت فيه ، والحابى الذى يدنى يده من الأرض فيمر سهمه على وجهها ثم يصيب الغرض ، والمارق الذى يثقب الهدف وينفذ فيه ، والخارم الذى يخرم طرف الشن ، أى يقطعه . والمزدلف الذى يسقط سهم على الأرض بقرب الهدف ثم ينحرف فيصيبه .

مراهنات النضال

ولقد كان للعرب فى رمى السهام مراهنات تدل على احتفالهم بهذا النوع من الرياضة ، فهم يجتمعون له كما يجتمعون لسباق الخيل . وقد عدوا من أنواع مسابقاته ثلاثة : فأولها المبادرة ، وهى أن يشترطا إصابة عشرة من عشرين ، فمن أحرزها فقد نضل صاحبه ، أى غلبه ؛ وثانيتها المحاطة ، وهى أن يقولا : نرمى عشرين رشقا على أن من فضل صاحبه بخمس إصابات فقد نضله . أى أن كل واحد من المتراهنين يرمى عشرين سهما على الولاء ، وتحصى إصابات كل منهما ، فإذا زاد أحدهما على صاحبه بخمس كان هو الفائز ، وثالثتها المناضلة وهى أن يشترطا عشرة من عشرين على أن يرمى كل منهما عشرته ، فإن أصابا معا عشرة أو ما فوقها أو دونها لم يحصل النضل ، وان بلغ أحدهما العشرة أو زاد عليها ولم يبلغها الثانى فقد فاز الأول .

هذا ما تيسر لنا الإلمام به من أحوال العرب فى باديتهم فيما يتعلق بالبدن ورياضته بأنواع المسابقات والمغامرات ، ويصح أن نعود الى توفية الموضوع أو نتركه الى ما صاروا اليه فى أيام مدنيتهم ، وما اكتسبوه من جيرانهم . والله الهادى إلى أقوم سبيل .

محمود مصطفى